

العنوان:	الأموريون وأهم ممالكهم في سورية القديمة في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد
المصدر:	مجلة البحث العلمي في الآداب (كلية البنات جامعة عين شمس) - مصر
المؤلف الرئيسي:	مرتكوش، ميساء محمد
مؤلفين آخرين:	عبدالعال، عائشة محمود(مشرف)
المجلد/العدد:	ع15، ج3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	13 - 28
رقم MD:	817146
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	الأموريون، مملكة ماري، مملكة يمحاض، مملكة قطنا، مملكة الألاخ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/817146

الأموريون وأهم ممالكهم في سورية القديمة في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد

إعداد

ميساء محمد مرتكوش

إشراف

أ.د. عائشة محمود عبد العال

استاذة التاريخ القديم-كلية البنات

المقدمة:

أولاً: الأموريون:

ثانياً: أهم الممالك الأمورية في سورية القديمة:

• مملكة ماري

• مملكة يمحاض (حلب)

• مملكة قطنة

• مملكة الألاخ (تل العطشانة)

الخاتمة.

المقدمة :

تحتل سوريا القديمة (بمعناها الواسع) مكانة رفيعة ومميزة في تاريخ العالم القديم، وكان لفضلها على رقي البشرية من الناحيتين الفكرية والروحية أعظم شأنًا من فضل أي بلد آخر، فلقد قدم السوريون القدماء (الفينيقيون) أعظم اختراع للبشرية وهي الأبجدية التي دونت وحفظت بواسطتها أعظم الآداب العالمية، وهذه الخدمة التي قدمها (الفينيقيون) للعالم كانت كافية لكي يتميزوا كأعظم المحسنين للبشرية، فليس من اختراع يعادل اختراع الأبجدية التي أنشأها الفينيقيون ونشروها.

تعتبر سوريا (بلاد الشام) مهد الديانات السماوية، فلقد شاعت ارادة الله ولاراد لمشيئته أن يجعل هذه البقعة من الأرض موطن الهداية ومبعث النور فاصطفى منها أنبيائه ومرسله، كما شاعت العناية الإلهية أن تتطور الحضارة الإنسانية فيها، ففي هذه البقعة المباركة تمثل بلاد الشام رأس المثلث الحضاري ضلعه الأيمن وادي الرافدين، وضلعه الأيسر وادي النيل وقاعدته شبه الجزيرة العربية. كما كان لموقع بلاد الشام الجغرافي دور كبيرا في الاتصالات والتجارة العالمية على امتداد العصور، إذ تحتل هذه البلاد موقعاً على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، فهي بهذا تربط آسيا بأوروبا وإفريقيا عن طريق البحر، كما تعد منطقة فاصلة وواصلة بين الحضارات التي نشأت وانتهت في بلاد الرافدين ووادي النيل وآسيا الصغرى، ومن المعروف أن بلاد الشام خضعت في معظم فترات العصور القديمة للسيطرة المصرية على جنوبها، والحثية والميتانية

على شمالها، ولكن لم يخلو الأمر من بعض مراحل الاستقلال خاصة لبعض مراكز المدن التي اتبعت النظام السياسي المعروف باسم دولة المدينة أي أنه كان لكل مدينة حاكمها. كما شكلت بلاد الشام خلال العصور القديمة جسراً عبرت عليه شعوب وقبائل كثيرة في هجراتها وتقلاتها من وإلى بلدان غرب آسيا ومصر وجزر البحر المتوسط والعالم الإيجي، وهذا حكم عليها بأن لاتسكنها جماعة عرقية واحدة بل كان سكانها على الدوام يتشكلون من عدد من الأجناس والأعراق المختلفة، ويبدو من خلال النصوص والوثائق المكتوبة أن العنصر الأموري كان هو السائد خلال الألف الثانية قبل الميلاد علماً أن الكنعانيين أخذوا بالظهور على الساحة السياسية فعلياً خلال القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، إضافة إلى وجود عناصر أخرى مثل الحوريين والحثيين.

الأموريون :

شهد بداية الألف الثالث قبل الميلاد انتشار الأقوام الجزرية في مناطق شمال سوريا وقد استقر بعضهم فيها والبعض الآخر اتجه ليستقر في جنوب سورية ووسط وجنوب وشمال بلاد الرافدين، وكانت أكبر هذه الهجرات (الأموريون) الذين أشارت إليهم النصوص الكتابية السومرية باسم (مارتو - Mar - tu)، في حين أشارت إليهم النصوص الأكادية باسم (أمورو - Amurru)، كما سماوا البحر المتوسط باسم بحر أمورو العظيم، ولقد حملت هذه التسمية معنىً جغرافياً أكثر منه عرقياً والتي جاءت بمعنى الغرب أو الجهة الغربية لأن القسم الأكبر منهم قدم من الجهات الغربية لبلاد الرافدين.^(١) أما نصوص إيبلا من الألف الثالث قبل الميلاد فقد ذكرت هؤلاء الأقوام باسم (أمورو) وانعكس هذا الاسم على نصوص الألف الثاني قبل الميلاد، حيث أشارت إلى مملكة أمورو والتي امتدت حدودها ما بين سواحل البحر المتوسط (بحر أمورو) وسهل حمص، (١) كما جاءت أول إشارة إلى الأموريين من بلاد الرافدين من عهد الملك الأكادي (شار - كلي - شري) الذي افتخر بانتصاره عليهم عند جبل بشري. فجميع هذه النصوص تؤكد انتشار أقوام بشرية جديدة ساهمت بتغيير ديموغرافية المنطقة بشكل أو بآخر، ومن المعلوم أن المنطقة الممتدة بين نهري الفرات والنيل تضم مناطق صحراوية جافة وقليلة الأمطار كانت ولا زالت موطناً للبدو الرحل، ويبدو أن الأموريين استقروا في منطقة بادية الشام وتركزوا على طول الجبال التدمرية وعلى جبل بشري والذي سمي في النصوص القديمة باسم جبل ماسار، ووصفه السومريون بأرض أمورو المرتفعة، ولقد حاول الأموريون الاقتراب من منطقة الفرات كلما أتيحت لهم الفرصة ولكنهم كانوا يصطدمون بالحضر سكان المدن،^(٢) وأثروا على تاريخ الشرق الأدنى القديم ودوله منذ وقت مبكر، فقد تسربت هذه العناصر البدوية إلى منطقة حوض الفرات الأوسط في بلاد الشام طلباً للأرض الخصبة والمياه الدائمة وطمعاً بالثروات لكنهم اصطدموا بداية الأمر بدول

قوية كانت قائمة في بلاد الرافدين مثل السومرية ومن بعدها الأكادية، وأدى اصطدامهم بمراكز المدن إلى تطور أسلوب حياتهم، حيث مارسوا المهن الخدمية أثناء دخولهم في المجتمعات السومرية، فمنهم من عمل بالزراعة كعمال حصاد مأجورين لدى ملاكين الأراضي الزراعية، وبعضهم عمل في الحرف الأخرى، إضافة إلى مشاركتهم كفرق مرتزقة في الجيش.^(١)

أشارت النصوص السومرية إلى طبيعة الأوضاع الاجتماعية ونمط الحياة السائدة بين الأموريين قبل احتكاكهم بمراكز الحضارة في أعالي الفرات، فنص الأسطورة الذي يحمل عنوان (زواج المارتو) يوضح لنا نظرة السومريين إلى هؤلاء البدو على أن الواحد منهم:

(يسكن الخيام، ويأكل الطعام النيئ وليس لديه بيت يقيم فيه في حياته ، وحين يموت لايدفن دفناً مناسباً).^(٢)

وعلى أية حال يظل الأموريون من الجماعات البدوية التي عاشت في بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد والتي لم تعش البداوة بصفة مستمرة، إذ تحول الأموريون في الألف الثاني قبل الميلاد للحياة المدنية، واستطاعوا السيطرة على المنطقة بأكملها وحققوا نجاحات سياسية وحضارية، حيث تمكنوا بعد قرن من هجرتهم من الجزيرة العربية من تأسيس ممالك في شمال سوريا (حلب وقطنا) ونجحوا في تأسيس سلالات حاكمة في بلاد الرافدين، في بابل وماري وأشور، ووصلت التأثيرات الأمورية إلى الدلتا في مصر.^(٣)

لعب الأموريون دوراً كبيراً أوائل الألف الثاني قبل الميلاد في سورية الشمالية ولكن بعد منتصف هذه الألفية تحول مركز حضارتهم إلى سورية الوسطى نتيجة لظهور دول قوية على مسرح الأحداث السياسية في ذلك الوقت، خاصة في عهد الملك المصري تحتمس الثالث وظهور الحثيين في الشمال السوري.^(٤)

لم يترك لنا البدو الأموريين أثراً كثيرة تعود لبداية حياتهم في بلاد الشام أي خلال الألف الثالث قبل الميلاد لأنهم كانوا بدو رحل، لكن الوضع اختلف بعد تأسيسهم لعدد من دويلات المدن في كل من شمالي بلاد الشام وبلاد الرافدين خلال الألف الثاني قبل الميلاد، إذ راجت التجارة في بلاد الشرق الأدنى القديم وأصبحت العامل الأساسي في العلاقات بين الدول والناس خلال تلك الفترة، وترك أهل بلاد الشام الذين عاشوا في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد أثراً ضخمة وأسسوا خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد في أواسط وشمالي بلاد الشام عدداً من الممالك أهمها مملكة تل الحريري (ماري) مملكة حلب (يمحاض) ومملكة قطنا (المشرفة) وألاخ

وغيرها من الممالك الأمورية، ولقد تمتعت هذه الممالك الشمالية التي أسسها الأموريون بالقوة والحرية والاستقلالية خلال النصف الأول من هذه الألفية.^١

١- مملكة ماري (تل الحريري):

تتبع ماري (تل الحريري) محافظة دير الزور حالياً بالقرب من الحدود السورية العراقية على مقربة من الضفة اليمنى لنهر الفرات عند البوكمال. وقد تبوأ ماري أهمية اقتصادية وسياسية عبر العصور نظراً لموقعها المتوسط بين بلاد الرافدين وسواحل البحر المتوسط الشرقية، كما أن سكانها سيطروا على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الممتدة بين نهري الخابور والبلخ (رافدي نهر الفرات)، ولقد كشفت أعمال التنقيب أن بداية ظهورهم في تل الحريري كانت بداية الألف الثالث قبل الميلاد،^٢ وأن المدينة شهدت فترتي ازدهار الأولى خلال منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وعاصرت عصر السلالات الأولى في بلاد الرافدين، أما المرحلة الثانية فكانت معاصرة للمملكة البابلية الأولى (مملكة حمورابي في بلاد الرافدين) ومملكة حلب (يماض) في شمالي بلاد الشام، كما كشفت وثائق تل مريدخ عن أسماء الملوك الذين حكموا ماري خلال منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وهم: إنا دجن، وأنوبو، وسامو، وإشتوباشتار، وإيبول إل، وإيكورإشار، وآخرهم خيدار، وأن المدينة خضعت للحكم الأكادي، كما أن مدينة مريدخ دفعت الجزية لتل الحريري خلال تلك الفترة.^٣ لكن مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد حكمت تل الحريري أسرة أمورية، وأول من ذكر من ملوكها في أرشيف تل الحريري هو الملك جيد- ليم (١٨٣٠ - ١٨٢٠ ق.م) الذي قام بتوسيع حدود مملكته على حساب مدينة (ترقا القديمة)^٤ الواقعة إلى الشمال من ماري.^٥

وبعد وفاته خلفه ابنه يخدون- ليم (١٨٢٠ - ١٨١٠ ق.م) الذي بنى معبد الإله شمش (إله الشمس) ووصل إلى شواطئ البحر المتوسط في حملة هدفت للحصول على خشب الأرز من منطقة جبيل، لكن هذه الحملة لم تؤد إلى إخضاع سورية لنفوذ مملكة ماري، كما يبدو أن يخدون- ليم اغتيل على يد الملك شمشي أدد بن إل-كيبابو (١٨٠٨ - ١٧٩٦ ق.م) ملك الآشوريين في ترقا، واستطاع احتلال ماري والاستيلاء عليها ونصب ابنه يسمخ-أدد الآشوري (١٧٩٦ - ١٧٨٢ ق.م) حاكماً عليها، كما قام الملك الآشوري شمشي أدد عام ١٧٩٥ ق.م بطرد الملك الأموري زمري- ليم (١٧٨٢ - ١٧٦٩ ق.م) الذي هرب إلى حلب عاصمة مملكة يماض وبقي هناك طيلة حكم الآشوريين لماري.^٦

لعبت ماري خلال حكم الملك الآشوري يسمخ-أدد دوراً محورياً في التجارة التي كانت رائجة بين بلاد الرافدين وبلاد الشام والبلدان الأخرى المجاورة، إذ أنها سيطرت على الطريق التجاري الذي

كان بينها وبين قطنا (المشرفة) وبينها وبين تدمر، حيث كانت تمر بهذه الطرق القوافل المحملة بالخشب والبضائع الأخرى من سورية ولبنان وفلسطين عبر نهر الفرات إلى بلاد الرافدين وعيلام، كما عمل هذا الملك على توطيد علاقات مملكته بمملكة قطنا فقام بتزويج ابنه من ابنة ملكها.^(١)

بعد وفاة الملك الآشوري شمشي أدد عام ١٧٨٢ ق.م انهارت آشور ولم يستطع أبناؤه المحافظة على إمبراطوريته، فتخلصت ماري من حكمهم وعاد ملكها زمري ليم من ملجنه في حلب إلى بلاده ليحكمها، وساعده في هذا ملك يحاض ياريم- ليم الأول، ولتوثيق عرى الصداقة بينهما قام زمري- ليم بالزواج من ابنة ياريم- ليم ملك يحاض (شيبنتو)، وأصبح صديقاً حميماً لابنه وخلفه حمورابي، كذلك ارتبط زمري ليم بعلاقات طيبة مع الملك البابلي حمورابي بل وشاركت جيوش ماري وحلب إلى جانب الجيش البابلي في حروبه ضد عيلام وأشنونا. كما حاول تحسين العلاقات بين مملكتي حلب (يحاض) والمشرفة (قطنا) خاصة بعد وفاة الملك الآشوري شمشي أدد بأن دخل وسيطاً بينهما. كما عمل على تعيين السفراء في أنحاء متفرقة من المشرق، فمن دراسة السجلات السياسية للمملكة يتبين لنا مدى الرقي السياسي الذي تمتعت به ماري بعد أن حكمها زمري ليم إذ انتشر السفراء في أنحاء متفرقة من المشرق في بابل وكركميش وحلب، كما أعطت السجلات الملكية أسماء السفراء في كل مدينة، ويصف الباحث البريطاني (ثورو دانجان) المراسلات بين السفراء والملك بقوله: (أن هذه الرسائل الدبلوماسية في الألف الثانية قبل الميلاد ولو غيرنا فيها الأسماء فقط أمكننا القول أنها رسائل مبعوثة من قبل أحد سفارتنا في الخارج في القرن العشرين).^(٢) كما كانت مملكة ماري مقسمة إلى عدة مقاطعات يحكم كل منها ممثل للملك.^(٣)

بلغت ماري أوج ازدهارها في عهد زمري -ليم، حيث شكلت قوة سياسية واقتصادية كبيرة في المنطقة، وأدى تحكمها بالطرق التجارية البرية والنهرية إلى غناها وقدرتها على تمويل المشاريع الكبرى فيها، وامتدت تجارة ماري فوق مناطق شاسعة لتشمل الخليج العربي في الجنوب حتى الأناضول في الشمال ومن إيران في الشرق حتى البحر المتوسط في الغرب.^(٤)

كما اهتم زمري- ليم بشؤون مملكته الداخلية، فبذل عناية كبيرة لتحسين شبكات الري وتوسيعها بهدف توسيع الرقعة الزراعية في البلاد، كما كان مولعاً ببناء المباني الفخمة والضخمة فقام ببناء قصر ضخم عُدّ أعجوبة زمانه، حيث كان مؤلفاً من ٣٠٠ غرفة وباحة، و زينت بعض قاعاته برسومات جدارية، أهمها مشهد تنصيب زمري -ليم على العرش، كما عثر في إحدى غرف هذا القصر على عدد كبير من التماثيل، ومن أهم المقتنيات التي وجدت في قصر زمري ليم أرشيف

مكون من حوالي خمسة وعشرين ألفاً من الرقم الطينية التي كتبت بالخط المسماري وباللغة الأكادية، ويؤرخ هذه الأرشيف للنصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ويشمل وثائق اقتصادية وإدارية ودينية ورسائل وتقارير ونصوصاً أخرى مختلفة.^(١)

إن غنى وازدهار وأهمية ماري لم تكن خافية عن أعين حكام القرن الثامن عشر قبل الميلاد وبخاصة الملك البابلي حمورابي، فبعد سيطرته على المنطقة بالكامل والقضاء على خصومه هناك، وبالتالي أصبح سيد بلاد الرافدين بلا منازع، اتجهت أنظاره نحو ماري، فعلى الرغم من علاقات الصداقة التي كانت تربطه مع ملكها زمري ليم، قام بمهاجمتها واحتلالها، ومن ثم تدميرها في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه (١٧٥٩ ق.م)، ولم يعد لها بعد ذلك الوقت إلا دور محدود إلى أن زالت عن الوجود ودخلت عالم النسيان، ولم تظهر على مسرح التاريخ حتى أيقظتها معاول المنقبين عام ١٩٣٣م، فكشفت للعالم عن حضارتها الرائعة.

ولكن إذا سقطت ماري فإن الأموريين بقوا كأهم عنصر سكاني في سوريا في المدن وفي البادية ولم ينقطع دورهم في تاريخ سوريا القديم وعاد زعماءهم للعب دور سياسي خطير عند نشوب الصراع الدولي على المنطقة في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد.^(٢)

٢ - مملكة يمحاض (حلب):

قامت مملكة يمحاض في الفترة نفسها التي تأسست فيها بقية الممالك الأمورية أي مع بداية الألف الثانية قبل الميلاد، واتخذت من حلب عاصمة لها، كما شكلت مع غيرها من الممالك الأمورية قوة أساسية مركزية في شمال غرب بلاد الشام.

تقع حلب في منطقة متوسطة بين الأناضول والجزيرة السورية وبلاد الرافدين والبحر المتوسط، إلى الغرب من سهل منبسط يمتد حتى الجزيرة السورية ووادي الفرات وتحيط به الجبال من الشمال والغرب والجنوب، وتعد هذه المنطقة ملتقى لجميع الطرق الرئيسية القادمة من الشرق إلى شمال سوريا والأناضول والبحر المتوسط.

جاء أول ذكر لمملكة يمحاض في تقرير للملك يخدون-ليم (١٨٢٥-١٨١٠ ق.م) حاكم مدينة ماري وهو ابن الملك يجيد-ليم، وكانت المدينة قائمة خلال الألف الثالث قبل الميلاد بحسب وثائق تل مردوخ (إبلا)^(٣) وكان اسمها (حلب)،^(٤) وهو لفظ أموري على الأرجح وتعني الغابة وربما لغنى المنطقة في تلك الحقبة الزمنية بالكثير من الأشجار، كما كانت تابعة ومرتبطة بمدينة إبلا.^(٥) ونظراً لصعوبة التنقيب في مدينة حلب المأهولة حتى الآن، فقد اضطر الباحثون إلى الاعتماد على أرشيف ومحفوفات أخرى ارتبطت مع حلب بعلاقات وثيقة وخاصة ماري والألاخ

(تل العطشانة) للحصول على المعلومات عن مملكة يمحاض، حيث نتعرف من خلال وثائق هاتين المملكتين على ملوك السلالة الأمورية الحاكمة في يمحاض وعددهم تسعة وأبرزهم (سمو-إبوخ) والذي يرد ذكره وذكر مملكة يمحاض في أحد النقوش التي وجدت على جدران معبد الإله شماش في تل الحريري في عهد الملك يخدون-ليم الذي قام بحملة على سورية ووصل فيها إلى شواطئ البحر المتوسط، وكان الهدف منها هو الحصول على الأخشاب، فأخضع هذه المنطقة وأجبر أهلها على دفع الجزية، وفي نفس السنة قام حكام المدن على مجرى نهر الفرات بمهاجمة جيش الملك يخدون-ليم ودعمهم في هذه الهجوم الملك سمو-إبوخ حاكم مملكة يمحاض وكان النصر في هذه المعركة حليف ملك ماري الذي بسط سيطرته بعدها على وادي الفرات.^(١)

كما تظهر مملكة يمحاض من خلال نصوص ماري والألاخ بأنها كانت من أكبر الدول الأمورية في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، فلقد استطاع ملكها سمو-إبوخ خلال فترة حكمه الطويلة لهذه المدينة أن يوسع حدود المملكة لتمتد بين الفرات شرقاً والعاصي غرباً ومن حدود مملكة قطنا جنوباً حتى حدود مملكة قرقيش (جربلس) شمالاً.^(٢) كما هاجم عدة مناطق تابعة لمملكة آشور، وقد عاصر هذا الملك عدداً من الملوك الأقوياء في المنطقة مثل حمورابي في بابل وشمشي-أدد في آشور وابنه يسمخ-أدد في تل الحريري ولم يكن أقل شأناً منهم.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين ماري ويمحاض فلم تكن مستقرة وإنما اختلفت من فترة إلى أخرى، فبعد أن كانت سيئة جداً أصبحت جيدة وحميمة وتحولت إلى علاقة تبعية، فلقد عُثر على رقيم في ماري يعود لتاريخ الملك يخدون ليم، جاء فيه ذكر ملك يمحاض الذي دخل بمؤامرة ضد ملك ماري يخدون ليم عندما كان في إحدى الحروب، مما يدل على سوء العلاقة بين الطرفين وأن ملك يمحاض وقف متفجعاً عندما قام شمشي-أدد ملك آشور بمهاجمة ماري وذبح أسرتها الحاكمة ولم يبق منها سوى الملك زمري-ليم الذي التجأ إلى ملك حلب.

تولى الحكم بعد سمو-إبوخ ابنه يارليم-ليم الأول (١٧٨٠-١٧٦٥ ق.م) وعاصر الملكين إسخي-أدد وابنه أموت أبيل في قطنا. أما في تل الحريري فبعد موت شمشي-أدد-تمكن زمري-ليم من العودة إلى حكم مملكته بمساعدة ملك يمحاض وطرد الملك الأشوري يسمخ-أدد، وبذلك تغيرت طبيعة العلاقات بين الطرفين وأصبحت علاقة صداقة وقرابة ومصالح، لذلك يمكن القول بأن تاريخ يمحاض السياسي خلال فترة حكم هذه الملك ارتبط بما كان يجري في ماري من أحداث، والسبب في ذلك الصداقة التي جمعتها بملكها زمري-ليم والتي تجلت بمساعدة ملك يمحاض لزمري ليم على استرجاع ملكه، وزاد في متانة وتوطيد هذه العلاقة أن زوج ملك حلب ابنته (شبتو) لزمري ليم، إضافة إلى ارتباطهما بعلاقات اقتصادية فكانت خير ممثل لتربط

المصالح بين الطرفين^(١)، وحدث في عهد هذا الملك يارليم ليم عدة حروب ولاسيما مع مملكة آشور حيث وقف هذه الملك في وجه التوسع الآشوري نحو الغرب ، وكانت العلاقات بين الطرفين عدائية، وقد عمل الملك شمشي- أدد على التحالف مع مملكة قطنا التي احتلت مكانة مرموقة وأصبحت مصدر قلق لمملكة حلب، فتحالفت مع آشور للوقوف في وجه مملكة يمحاض ولتعزيز أواصر هذا التحالف تزوج نائب الملك في ماري (يشمع دجن) من ابنة ملك قطنا، لكن بعد وفاة ملك آشور شمشي أدد(١٧٧٦ق.م) وملك قطنا إشخي أدد، أدى هذا الأمر لتغيير الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، إذ عاد زمري ليم لتولي الحكم في ماري وتحالف مع يارليم ليم الأول وتزوج من ابنته تأكيداً للصداقة بينهما^(٢) كما أقام يارليم ليم الأول علاقات طيبة مع الممالك الأمورية الواقعة للشمال من مملكته مثل قرقيش وأورشو^(٣) ومع حاكم مملكة حاصور بشمال فلسطين المدعو بن -حدد، لكنه تدخل في شؤون بلاد الرافدين^(٤) كما عقد معاهدة مع قطنا وربما بتوسط زمري ليم ملك ماري وبهذه المعاهدة أضحى ملك حلب أقوى عاهل في سورية، ترتبط به الممالك الأخرى الرئيسية بروابط الحلف أو المصاهرة كما أصبحت مملكة الآلاخ جزءاً من مملكة يمحاض القوية التي شملت سلطتها آنذاك شمال سوريا^(٥).

بعد وفاة الملك يارليم-ليم حوالي (١٧٦٥ق.م) خلفه على الحكم ابنه حمورابي الأول وتميز حكمه بإقامة علاقات طيبة مع ملوك ماري ورأس شمرا (أوغاريت) وبابل، وطلب منه ملك أوغاريت الوساطة إلى ملك ماري زمري- ليم للسماح له بزيارة قصره الشهير، كما أرسل فرقاً من الجند لمساعدة حمورابي الأول ملك بابل في الدفاع عن عرشه، وهذا دليل على أهمية الجيش وكثرة عدد القائمين على رأسه^(٦) وقد تمكنت يمحاض بفضل هذا الجيش أواسط القرن الثامن قبل الميلاد من الوصول إلى مناطق الخابور وسنجار، وهذاما أشارت إليه الكشوف الأثرية في تل ليلان(شبت أنليل القديمة)، إذ وجه إليها ملك حلب حمورابي الأول حملة مكونة من أكثر من ستة آلاف جندي تمكنت هذه الحملة من السيطرة على مملكة أبوم التي كانت تسيطر على مناطق واسعة من حوض الخابور كما تمكنت الحملة من إعادة بعض المدن المتمردة إلى سيطرة المملكة لتصل الدولة بذلك إلى أوج اتساعها^(٧) وخلال فترة حكمه خضعت مملكة قرقيش لنفوذه وتوقف الصراع بين مملكته ومملكة قطنا.

تولى الحكم من بعد حمورابي الأول اليمحاضي عدداً من الملوك هم على التوالي: آبا-إيل وياريم-ليم الثاني ونيقيميا وإركابتوم وياريم ليم الثالث وأخيراً حمورابي الثاني وضعفت مملكة يمحاض خلال حكم بعض هؤلاء الملوك وفقدت سيطرتها على كثير من أملاكها بعد أن ظلت قوة اقتصادية هامة في المنطقة ومسيطرة على منطقة شمالي سوريا الحالية لمدة تقرب من القرنين إلى أن سقطت مع بابل على يد الملك الحثي مورشيلي الأول في حوالي ١٥٩٥ق.م^(٨).

٣- مملكة قطنا (تل المشرفة) :

تقع قطنة (تل المشرفة حالياً) على بعد حوالي ١٨ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة حمص السورية في منطقة متوسطة بين بادية تدمر ووادي نهر العاصي، وأثبتت التنقيبات التي أجريت في الموقع العثور على عدد من الوثائق المسمارية البابلية التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهي تذكر اسم الموقع القديم (قطنا) ويعني الاسم الرفيعة أو الصغيرة^(١) وهو على ما يبدو مشتق من الجذر الثلاثي (قطن) والذي يعني (صغير)، وإن إطلاق اسم قطنة (الصغيرة) على المملكة التي ازدهرت خلال النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد له علاقة بالمشاريع المائية التي أقيمت في المنطقة والتي أدت إلى تشكل مضيق يبطئ جريان المياه أدى بدوره إلى تشكل حوض مائي أسهم في تطور المدينة بسرعة وإلى ازدهار الزراعة وتربية الحيوان^(٢).

لقد استطاع الأموريون إقامة مملكة لهم في قطنا بلغت أوج ازدهارها وعظمتها في الفترة الواقعة (١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م) أي خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، حيث كانت تمثل مركزاً تجارياً مهماً وعاصمة لمملكة أمورية نافست مملكة يمحاض وماري وبابل خلال تلك الفترة^(٣).

ويعد أرشيف مملكة ماري المصدر الرئيسي لدراسة تاريخها في هذا العصر، ولكن الأمر الغريب أن مملكة قطنا لا يرد ذكرها في نصوص محفوظات إيبلا والتي تعود إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وهناك احتمال أنها كانت تحمل اسماً آخرًا غير معروف لنا حتى الآن^(٤). وتذكر هذه المحفوظات اسمي ملكين من ملوكها هما إسخي- أد الذي عاصر شمشي أد ملك آشور وأبنة يسمح أد في ماري وسمو-إبوخ وباريم-ليم ملكي حلب (يمحاض)، ولقد استفادت مملكة قطنا من موقعها الجغرافي المتوسط واستغلته أحسن استغلال فتحوّلت إلى منطقة عبور أساسية لطرق التجارة التي ربطت بين الأناضول وفلسطين ومنها إلى مصر وبين بلاد الرافدين وساحل البحر المتوسط الشرقي^(٥)، وكانت أبرز المواد التجارية القصدير من ماري باتجاه الغرب عبر تدمر والنحاس من قبرص والأخشاب من لبنان ومنطقة الجبال الساحلية باتجاه الشرق إلى ماري بابل وأشور، ولهذا تم تأسيس مركز تجاري معروف فيها (كاروم قطنة)^(٦). كما كانت القوافل التجارية تتخذها محطة للاستراحة والتزود بالمواد الغذائية ولتبادل السلع في سوقها النشط، ولقد ارتبطت هذه المملكة في زمن ملكها إسخي أد (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) بعلاقات تجارية ودبلوماسية مع ملك آشور شمشي أد ومع مملكة ابنه يسمح أد في ماري

(تل الحريري) وكان كل منهما بحاجة للآخر،^(١) فدخل في تحالف معه ضد سومو إيوخ وابنه ياريم ليم حاكم مملكة يمحاض وتوج ذلك التحالف بزواج دمخورزي ابنة أشخي أدد من يسماخ أدد ابن شمشي أدد حاكم مدينة ماري، وأعطيت (دمخورزي) لقب بيلتوم (بعلة، سيدة) في ماري وجلبت معها مهراً مقدراه خمس عشرة تالنت من الفضة (مايعادل ٣٠٤ كغ).^(٢) وكانت دوافع ذلك التحالف قوية لدى الطرفين، فموقع قطنا الجغرافي يفيد سياسة شمشي أدد في حرصه على ألا يعلو شأن ملوك يمحاض الذي التجأ إليهم زمري ليم الفار من ماري إبان احتلاله لها، ويحد من طموحاتهم بإعادة زمري ليم إلى الحكم ومد نفوذهم إلى المناطق الشرقية وبالمقابل كانت قوة شمشي أدد تغري حكام قطنا للإحتماء به والتحالف معه لضمان الحماية من الخطر اليمحاضي، كما رغب الملك الآشوري بإقامة علاقات طيبة مع مملكة قطنا إدراكاً منه لأهمية موقعها على الطرق التجارية المؤدية للساحل السوري.^(٣) لذلك حرص ملوك آشور على بقاء علاقاتهم جيدة مع قطنا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وعندما احتاجت قطنا للمساعدة العسكرية ضد مملكة يمحاض أرسلت آشور فرقاً عسكرية من ماري للتمركز فيها.^(٤)

كما تشير الوثائق إلى أن قطنا كان لها علاقات تجارية مع أغلب الممالك والمدن الرئيسية في المنطقة كما ارتبطت بعلاقات طيبة مع مصر وبلاد الرافدين إضافة إلى العلاقات التجارية مع بلاد البحر المتوسط.^(٥)

وبعد موت إشخي أدد اعتلى عرش قطنة ابنه أموت بيل، والذي تظهره إحدى رسائل أرشيف ماري والتي أرسلها أحد موظفيه إلى زمري ليم واحداً من أربعة ملوك عظام حكموا المنطقة يقول فيها: (أنه بعد وفاة شمشي أدد لم يبق سوى أربعة ملوك عظام هم : حمورابي ملك بابل وياريم سين ملك لارسا^(٦) وأموت بيل ملك قطنة وياريم ليم ملك يمحاض)، وفي عهده زالت حالة العداوة التي سادت العلاقات بين قطنة ويمحاض وتم التوصل لحل الخلاف الرئيسي لمملكة قطنا مع مملكة يمحاض وحضر ملكها أموت أبيل إلى حلب وتم عقد معاهدة بينهما وبتوسط زمري ليم.^(٧)

ومن المؤكد أن قطنا خضعت للحكم المصري أثناء الحملات المصرية على سوريا في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد، وتشير النصوص المصرية إلى أن الفرعون المصري أمنحوتب الثاني اشتبك مع قوات قطنا عند عبوره لنهر العاصي وألحق بها خسائر فادحة، ولقد وقعت مملكة قطنا تحت النفوذ الميتاني زمن الصراع المصري الميتاني على سوريا وكانت نهايتها على يد الملك الحثي شوبيلوليوما الذي دمرها انتقاماً منها لطلب المعونة المصرية التي لم تصل أصلاً إلا أنها عادت للحياة من جديد في العهد الآرامي في الألف الأول قبل الميلاد

ولكنها ما لبثت أن دمرت مرة أخرى ولكن على يد الملك الآشوري شاروكين الثاني في القرن الثامن قبل الميلاد.^١

ومن أهم ما كشف عنه في قطنا هو قصرها الملكي وهو عبارة عن مبنى ضخم بلغت مساحته حوالي مائة دونم (عشرة هكتارات) واحتوى القصر على ثمانين غرفة موزعة على طابقين، كما زينت جدران الغرف برسومات جدارية.^٢ كما عثر مؤخراً في قطنا أرشيف وقبر ملكي وعثر بداخل هذا القبر على توابيت ومجموعة ثمينة من اللقى الأثرية المصنوعة من العاج والذهب وكميات كبيرة من الفخار القبرصي والرافدي والإغريقي وفي هذه دلالة واضحة على اتساع العلاقات التجارية لمملكة قطنا في ذلك العصر.^٣

• مملكة الألاخ (موكيش، تل العطشانة) :

يقع تل الألاخ (العطشانة حالياً) في منطقة خليج اسكندرونة في سهل العمق عند مصب نهر العاصي في البحر المتوسط، لذا يعد نقطة اتصال بين حضارات بلاد الشام وآسيا الصغرى وبلاد بحر إيجه ، ويتميز التل بشكله البيضاوي غير المنظم ويتجه إلى جهة الشمال الغربي والجنوب الشرقي، وكانت مدينة الألاخ عاصمة لمقاطعة موكيش التي تبعت مملكة يمحاض فيما بين القرنين الثامن عشر والسادس عشر قبل الميلاد، كما تبعت مملكة ميتاني خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد.^٤ ولقد كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في الموقع عن سبعة عشر طبقة أثرية وصلت إلى عمق (٤.٢٠م) وترجع إلى (٢٠٠٠ الفترة - ١٢٠٠ ق.م) ، كما كشفت عن قصور ومعابد وتحصينات ولقى أثرية مهمة مثل الأختام الأسطوانية وطبعات الأختام والأواني الفخارية، وتم العثور على أرشيف في الطبقتين السابعة والرابعة، كشف فيه عن رقم طينية نُقشت عليها أسماء عدد من ملوك السلالة التي حكمت المدينة خلال الألف الثاني قبل الميلاد،^٥ ومن خلال قراءة تلك النصوص المكتشفة تبين أن ملك تل الألاخ (ياريم-ليم) الذي حكم خلال الفترة ما بين (١٧٢٠-١٦٥٠ ق.م) هو حفيد الملك ياريم-ليم ملك حلب (يمحاض) وكان معاصراً لحمورابي في بابل وزمري ليم في ماري كما يظهر أن خاتوشيل الأول هو من دمر مدينة تل العطشانة في النصف الأول من الألف الثاني (٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م) خلال حملته الثانية على سورية، ثم أعيد بناؤها في الفترات اللاحقة،^٦ ويعتبر قصره من أهم الاكتشافات في الألاخ، إذ عُثر في صالة صغيرة منه قرب قاعة العرش على نصوص مسمارية تحتوي على معلومات إدارية واقتصادية، كما عثر على بعض القطع العاجية والتي تعتبر مادة ثمينة تاجرت بها الألاخ مع مصر كان مصدرها الفيل السوري الذي عاش خلال الألف الثاني قبل الميلاد قرب حلب والفرات، وكان القصر يتكون من طابقين خصص الطابق العلوي منه لسكن الملك

بينما خصص الطابق السفلي للخدم والحاشية. كما كان للوثائق المكتشفة دور في معرفة التكوين السكاني في الألاخ خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد وذلك من خلال لوائح الأسماء المكتشفة والتي بلغ عددها ٥٢٤ اسماً أمورياً، كما أن بعض الأسماء النسائية تدل على تواجد حوري مبكر منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهذا يؤكد بشكل واضح أن شمال سوريا كان منذ ذلك الوقت موطناً للقادمين من الشمال الذين يأتون ويستقرون طلباً للعيش والسلطة في أوقات الضعف أما خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد فنجد أن العناصر الحورية أصبحت أكثر عدداً من الأمورية.^(١)

كما عُثر على عدد من التماثيل واللقي المنحوتة الأخرى من أهمها رأس الملك ياريم- ليم المنحوت من الديورايت، وتمثال الملك إدرمي الذي وجد مكسوراً ومدفوناً في أنقاض معبد الألاخ من السوية الرابعة، وقد مُثل هذا الملك وهو يلف جسده برداء بسيط ورأسه معصوب، ونُقش على الجزء السفلي من التمثال كتابات تروي سيرة حياة هذا الملك وأهم الانجازات التي قام بها، كما عثر بجانبه على تمثال كرسي العرش المنحوت من حجر البازلت وعثر على دمي معدنية مصنوعة من البرونز، هذه الأشكال المنحوتة على اللقي الفنية المكتشفة في تل العطشانة والمؤرخة للنصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد تظهر تأثيرات مصرية وحثية وميتانية ورافدية إضافة للعناصر المحلية^(٢)

أما بالنسبة للملك أدرمي فيعتبر أبرز شخصية في سورية خلال عصر التوسع الميتاني وتتضمن الكتابة المنقوشة على تمثاله دليلاً واضحاً على الاضطراب السياسي الذي عانت منه سوريا الشمالية في تلك الفترة، ويمكن أن يؤرخ هذه النقش في الفترة ما بين (١٥٠٠-٤٨٠ ق.م).^(٣) فقد كان أبوه وفقاً للكتابة ملكاً مستقلاً عن حلب وقامت ضده ثورة شجع عليها الميتانيون، قتل على أثرها مما اضطر الملك أدرمي إلى الهرب مع أخوته والالتجاء إلى أخواله في إيمار (مسكنة حالياً على الفرات) وحاول من هناك استرداد عرشه، فقد عاش سبع سنين بين القبائل المعروفة بقبائل السوتو^(٤) التي أيدته وساعدته على استرداد عرشه، واستطاع أخيراً أن يجمع قواته وأنصاره على الساحل في مكان ما شمال أوغاريت في الأراضي التابعة لبلاد موكيش على مقربة من الجبل الأقرع (كاسيوس)، وبعد طول معاناة في سبيل استرداد الملك تمكن من العودة إلى مدينته التي فتحت أبوابها بمجرد سماع أنباء عن عودته واستعادة ملك أبيه، ووقع معاهدة مع ملك ميتان الذي لم يجد أمامه سوى الاعتراف بالوضع الجديد في سورية الشمالية، لكن أدرمي لم يستطع استرداد حلب التي احتفظ بها الميتانيون، ولم يستسلم أدرمي بالكامل لإرادة ملك ميتاني بل مارس سيادته واستقلاله عندما قام بعقد معاهدة مع مملكة كيزوواتا الواقعة إلى شمال خليج اسكندرونة وهاجم بعض المواقع الحثية القريبة، كما استطاع أن يوطد أركان بلاده حيث نظم

قبائل السوتو التي أيدته وبنى قصره الذي كشف عنه في الطبقة الرابعة من حفريات الالاخ والذي زينه بغنائم وأسلاب الحروب التي خاضها ونظم العبادة وعين على إدارتها ابنه نيقميا الذي أعلنه وريثاً له وولياً لعهد،^(١) وتوالى على الحكم بعده عدد من الملوك إلى أن سقطت المملكة تحت حكم الملك الحثي شوبيلوليوما في القرن الرابع عشر قبل الميلاد والتي وضعها تحت إشراف نائب الملك الحثي في قرقيش، بعدها انتهت هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الألاخ عام ١١٩٤ ق.م على يد شعوب البحر الذين دمروا وقضوا على الدولة الحثية وقرقيش ثم الالاخ وأوغاريت.^(٢)

وفي الخلاصة نجد أن هذه الهجرات العربية القادمة من شبه الجزيرة العربية (الأموريين والكنعانيين) قد أسسوا في بلاد الشام خلال النصف الأول من الألف الثانية ق.م عدداً من دويلات المدن التي شهدت تداخلاً وتشابهاً كبيراً في إرثها الحضاري، لكنها لم تسع على الإطلاق لوحدة سياسية بضم جميع هذه الدويلات في عاصمة واحدة، وعلى الرغم من الاختلاف السياسي الذي واجهته دويلات المدن في بلاد الشام إلا أن هذه الدويلات ارتبطت بشبكة من العلاقات التجارية الداخلية والخارجية، وأهم ما ميز الوحدات السياسية المتنافسة هذه في بلاد الشام في النصف الأول هو تمتعها بنوع من القوة والاستقلال السياسي، ولقد ساعدها على ذلك ضعف مصرفي نهاية الدولة الوسطى واحتلالها من قبل الهكسوس.

قائمة المراجع العربية والمعرية:

- ١- أركي الفونسو: مارتو، الأموريين في نصوص إيبلا، مجلة دراسات تاريخية (العددان ٢١-٢٢) دمشق ١٩٨٦.
- ٢- بشار خليف: مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية، دمشق، ٢٠٠٥.
- ٣- بسام جاموس: مملكة قطنا تتحدث عن المجد، الكتاب الشهري للناشئة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- ٣- تغريد شعبان: ممالك سورية القديمة، الكتاب الشهري للناشئة، العدد ٣٠، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ت.
- ٤- جان ماري ديوران: تاريخ حلب في بداية الألف الثانية قبل الميلاد من خلال نصوص ماري، ترجمة فيصل عبدالله، الندوة العالمية لتاريخ سورية والشرق الأدنى القديم ٣٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م، جامعة حلب، ١٩٩٩.
- ٥- جباغ قابلو - محمود فرعون: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي ، دمشق ، ٢٠٠٦.
- ٦- جون أوتس: بابل تاريخ مصور، ترجمة عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩٠.
- ٧- زيدان عبد الكافي كفاقي: بلاد الشام في العصور القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى الاسكندر المقدوني، ط١، الأردن، ٢٠١١.
- ٨- عبد الرحمن عمار: مملكة الاالاخ، ألق التاريخ على العاصي، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨.
- ٩- عبد الحكيم الذنون: تاريخ بلاد الشام القديم، ط١، دمشق، ١٩٩٩.
- ١٠- عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦.
- ١١- عمار عبد الرحمن: مملكة الأالاخ ، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، دمشق ، ٢٠٠٧.
- ١٢- عيد مرعي: مملكة قطنا، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧-١١٨، كانون الثاني - حزيران، دمشق، ٢٠١٢.
- ١٣- فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، جزءان ، الجزء ١، بيروت، ١٩٥٧، ص ٦٢-٦٣. -

- ١٤- فاروق اسماعيل: أخبار جديدة عن نفوذ مملكة يمحذ(حلب) في منطقة الخابور، الندوة العالمية لتاريخ سورية والشرق الأدنى، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٦.
- ١٥- ميشيل المقدسي وآخرون: تنقيبات قطنا، ج ١ المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٢،
- ١٦- مفيد عرنوق: صرح ومهد الحضارة السورية ، ط١، دمشق ، ١٩٩٩.
- ١٧- محمد حرب فرزات: موجز في تاريخ سوريا القديم، ط٩، دمشق، ٢٠٠٠.
- ١٨- هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي ٣٠٠-٣٠٠ ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، دمشق، ١٩٩٨.
- ١٩- هاري ساجز: البابليون، ترجمة سعيد الغامقي ، طرابلس ، ٢٠٠٩.
- المراجع الأجنبية:
- in OEANE,VOL,5, NewYork,1997,p,55-59 ،Alalakh ،D.L.Stein
 - .I, London,1995 vol ،B.C East 3000-330 Naer A. Kurt, The Ancient-
 - Mari, in OEANE,VOL,3, New York, 1997, p 413-417 ،J.Margueron
- الإختصارات:
- OEANE ؛E.M.Meyers)ed (The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East,(5vol), Newyork,1997.